﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٦٠﴾ [آل عمران: 160]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا بيَّن تعالى بقوله: ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ [آل عمران: 125] أنَّ من اتّقى المعاصيَ ينصرُهُ اللّه، بيّن في هذه الآية أنّ من نصره اللّه فلا غالب له، ليحصل من مجموع هاتين المُقدّمتين؛ أنّ من اتّقى اللّه فقد فاز بسعادة الدّنيا والآخرة؛ لأنّه يفوز بسعادة لا شقاوة معها، وبعزٍّ لا ذلَّ معه، ويصير غالبًا لا يغلبه أحد، وأمَّا من أتى بالمعصية فإنَّ اللّه يخذله، ومن خَذَله اللّه فقد وقع في شقاوة لا سعادةَ معها، وذلٍّ لا عزَّ معه[1].

وفيها تسليةٌ للصحابة - ﷺ - عمَّا وقع لهم من الفرار يوم أُحدٍ؛ إذ لمَّا أمره بمشاورتهم وبالتّوكّل عليه، أوضح أنَّ ما صدر من النّصر، أو الخِذْلان إنّما هو راجع لمشيئته. وأنّه متى نَصَرَكم فلا يمكن أن يغلبكم أحد، ومتى خَذَلَكم فلا ناصر لكم فيما وقع لكم من النَّصر[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَنصُرۡكُمُ﴾: النُّون والصَّاد والرَّاء أَصلٌ صحيحٌ يدُلُّ على إتيانِ خَيرٍ وإيتائِه. ونَصَرَ اللَّهُ المُسلِمينَ: آتَاهُمُ الظَّفَرَ على عَدُوِّهم، يَنصُرُهم نَصرًا. وانتَصَرَ: انتَقَمَ[3]. فالنَّصرُ: عَونُ المظلوم[4]؛ ليمتنع مِن ظالمه، وينتصفَ وينتقمَ مِنه[5]. والنَّصر والنُّصرة: العون. ونُصرَة اللّه للعبد ظاهرة، وهي الظّفر على العدوّ، ونُصرة العبد للّه هو نُصرته لعباده، والقيامُ بحفظ حدوده، ورعاية عهوده، واعتناق أحكامه، واجتناب نهيه[6]. والنّصرُ:

(1) الرّازي، مفاتيح الغيب: 9/411.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/105.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نصر).
(4) الخليل، العين: (نصر).
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (نصر).
(6) الرّاغب، المفردات: (نصر).

العطاءُ[1]، والإعانةُ على الخلاص من غلب العدوّ ومريد الإضرار[2]. وسائرُ ما في القرآن من هذا التّركيب، ومنه (نصر)، (ناصر)، (نصير) فهو بمعنى المعونة الّتي يترتّب عليها الغلب حالًا أو مآلًا[3].

2) ﴿غَالِبَ﴾: "الغينُ واللّامُ والباءُ أَصلٌ صحيحٌ يدُلُّ على قُوَّةٍ وقَهرٍ وشدَّةٍ"[4]. والمُغَلَّبُ: الّذي يَغلِبُه أقرانه فيما يمارس[5]، والّذي غَلَبَ خَصمَه أَو قِرنَه، كأَنَّه غَلَبَ على خَصمِهِ، أَي: جُعِلَت له الغَلَبَة[6]، فهو من الأضداد. وسائر ما في القرآن من هذا التّركيب هو من الغَلَب، أي: القهر[7].

3) ﴿يَخْذُلْكُمْ﴾: الخاء والذّال واللّام أَصلٌ واحدٌ يدُلُّ على تَرك الشَّيء والقُعُود عنه. فالخِذلانُ: تَركُ المَعونَة[8]، وتركُ نصرة الأخ. وأصله من الظّباء والبقر الوحشيّة الّتي تخذُلُ صواحبَها في المرعى، وتنفرد مع ولدها، وتتخلّف عن القطيع بسبب خذلان ولدها لعجزه عن المشي[9].

وخِذلانُ اللّه للعبد: ألّا يعصمه من السّوء[10]، أو من السَّيِّئة فيقعُ فِيهَا. والخذل: تركُ العون، والنّصرة، والإغاثة[11]، وتركُ من يُظنُّ به أن ينصرَ نُصرتَه[12]؛ بإمساك الإعانة مع القدرة[13].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

إن ينصركم اللّه، أيّها المؤمنون باللّه ورسوله، على من ناوأكم وعاداكم من أعدائه،

(1) الجوهريّ، الصّحاح: (نصر).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/153.
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (نصر).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غلب).
(5) الخليل، العين: (غلب).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غَلَبَ).
(7) الرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (غلب).
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خَذَلَ).
(9) الخليل، العين: (خذل)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/153.
(10) الخليل، العين: (خذل).
(11) الجوهريّ، الصّحاح، وابن الأثير، النّهاية: (خذل).
(12) الرّاغب، المفردات: (خذل).
(13) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/153.

قــوامُ الـتّـوكّـلِ الـتّـسـلـيـمُ بـأنّ النّاصر والخاذل الله

والكافرين به فلا غالب لكم من النّاس، ولو اجتمع عليكم مَن بين أقطارها من خلقه وما عندهم من العَددِ والعُدَدِ، فلا تهابوا أعداء اللّه لقلّة عددكم، وكثرة عددهم، ما كنتم على أمره، واستقمتم على طاعته وطاعة رسوله؛ فإنَّ الغلبة لكم والظّفر دونهم. وإن يتركْ ربّكم عونَكم بخلافكم أمره، وترككم طاعته وطاعة رسوله، فيكلكم إلى أنفسكم فلن تجدوا ناصرًا من بعد خِذلان اللّه إيّاكم، فلا تتركوا أمري وطاعتي وطاعة رسولي فتهلكوا بخِذلاني إيّاكم، وعلى ربّكم توكّلوا دون سائر خلقه، وبه فارضَوْا من جميع من دونه، ولقضائه فاستسلموا، وجاهدوا فيه أعداءه، يكفكم بعونه، ويمدِدْكم بنصره.[1].

وترشدُ الآيةُ الكريمة إلى التّرغيب في الطّاعة، والتّحذير منَ المعصية، وأنَّ الإيمانَ لا يحصل إلّا بإعانة اللّه، والكفرَ لا يحصل إلّا بخِذلانه؛ فالأمر كلُّهُ للّهِ، وفي الآيةِ الأمرُ بالتوكُّل على اللّه وحدَه، وأنه بحسَب إيمانِ العبدِ يكونُ توكُّله على اللّه[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغة العدول إلى الفصل استئنافًا:

النَّصرُ من الله وحدَه، أصلٌ في اعتقادِ المتوكّلين

قوله تعالى: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ جملةٌ مستأنفةٌ سيقت بطريق تلوين الخطاب؛ تشريفاً للمؤمنين؛ لإيجاب توكّلِهم عليه تعالى، وحثِّهم على اللّجوء إليه، وتحذيرِهم ممّا يُفضي إلى خِذلانه[3]، بعد المشاورة والعزيمة المبنيّة على أخذ الأهبة والاستعداد بما يستطاع من حول وقوّة[4].

(1) ابن جرير، جامع البيان: 7/347.
(2) الرّازي، مفاتيح الغيب: 9/411، وابن عادل، اللُّباب: 6/22، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 71.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/105.
(4) رضا، تفسير القرآن الحكيم: 4/169.

السننُ الإلهيَّةُ في القوانين الاجتماعيَّة لا تتخلفُ

وقد يكون الاستئنافُ ناشئًا عن قوله: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ [آل عمران: 157]، أو قوله: ﴿لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ [آل عمران: 156]، فتكون مناسبة موقع هذا الاستئناف عقب ما تقدّمه؛ بأنّه بعد أن خاطبهم بفنون الملام والمعذرة والتّسلية من قوله: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ [آل عمران: 137] إلى هذه الآية، قد جمع لهم تلك الوصايا والأوامر والإرشادات، في كلامٍ جامعٍ نافعٍ لتلقّي الماضي، وصالحٍ للعمل به في المستقبل[1].

دلالة الجملة الخبريّة:

تقريرُ تسلية المؤمنين على ما أصابهم من الهزيمة

لَوْ حُمِلَ قولُه تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ﴾ عَلَى ظَاهِرِه لَكَانَ إِخْبَارًا بِأَمْرٍ مَعْلُوم، فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا الْمَعْنَى مُحَقَّقٌ فِي جَانِبِ اللَّهِ لَا يَجْهَلُهُ مُعْتَرِفٌ بِإِلَهِيَّتِه، مُؤْمِنٌ بِوَحْدَانِيَّتِه، فَيَتَعَيَّنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْخَبَر مرَادًا بِهِ غَيْرَ ظَاهِرِ الْإِخْبَارِ، وَأَحْسَنُ مَا يُحْمَلُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ تَقْرِيرًا لِتَسْلِيَةِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْهَزِيمَةِ، حَتَّى لَا يَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَ؛ لِأَنَّ رَدَّ الْأُمُورِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَ الْعَجْزِ عَنْ تَدَارُكِهَا مَسْلَاةٌ لِلنَّفْسِ، وَعَزَاءٌ عَلَى الْمُصِيبَةِ[2].

النّصر والخذلان لا يكون إلّا لحكمة

وَفِي ضِمْنِ ذَلِكَ تَنْبِيهٌ إِلَى أَنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَوْمًا فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ، وَخَذْلَهُ إِيَّاهُمْ فِي بَعْضِهَا، لَا يَكُونُ إِلَّا لِحِكَمٍ وَأَسْبَابٍ، فَعَلَيْهِمُ السَّعْيُ فِي أَسْبَابِ الرِّضَا الْمُوجِبِ لِلنَّصْرِ، وَتَجَنُّبُ أَسْبَابِ السُّخْطِ الْمُوجِبِ لِلْخَذْلِ[3].

استعمال الخبر في لازمِ معناه بتنزيل العالم مَنزِلة الجاهل

يجوز أن يكون الإخبار مبنيًّا على تنزيل العالم مَنزِلة الجاهل، حيث أظهروا من الحرص على الغنيمة، ومن التّأول في أمر الرّسول

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/152 - 153.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/152.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/152.

لهم في الثّبات، ومن التّلهف على ما أصابهم من الهزيمة والقتل والجرح، ما جعل حالهم كحال من يجهل أنّ النّصر والخذل بيد الله تعالى، فالخبر مُستعمل في معناه على خلاف مُقتضَى الظّاهر[1].

بلاغة الالتفات في الآية الكريمة:

الانتقال إلى مفاهيم واجبة التّسليم لها

ذكر أبو حيّان أنّ الآية التفات؛ إذ هو خروج من غيبة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ إلى خطاب[2]، ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّـهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ ونكتةُ الالتفاتِ: التّنبيه على أنّ الأمر كلّه لله، وعلى وجوب التّوكّل عليه، وفيه ترغيب في الطّاعة، وفيما يستحقّون به النّصر من الله تعالى والتّأييد، وتحذير من المعصية، وممّا يستوجبون به العقوبة بالخذلان[3].

سرُّ إيثار أداة الشّرط ﴿إن﴾ دون (إذا):

الإشارة إلى تساوي نصر المؤمنين وخذلانهم

عبّر النَّظمُ بأداة الشّرط ﴿إن﴾ دون (إذا) في قوله: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ إشارة إلى تساوي الأمر، وأنّ نُصرَتَهم، وخُذلانهم بالنّسبة إلى قدرة الله تعالى متساويان[4]، وليس أحدُهما أرجحَ منَ الآخر[5].

المطلوبُ من المؤمنين الأخذُ بأسباب النَّصرِ اعتقادًا وعملًا

ولتنزيل الواقع المُتحقّق مَنزِلة غير المُتحقّق؛ فنصرُ الله للمؤمنين أمرٌ مقطوعٌ بوقوعه، وإنّما جيءَ بالشّرط على هذه الصّورة تنزيلًا للمقطوع بوقوعه مَنزِلة غير المقطوع بوقوعه لحثّ المؤمنين على الأخذ بأسباب النَّصر من الاعتقاد والعمل[6]، وليكونوا بين الخوف والرّجاء؛ لأنّهم لو وثقوا من النَّصر كلّ الثّقة لناموا، ولو وثقوا من الهزيمة كلّ الثّقة لضاعوا، فكان من الحكمة أن يترقّبوا النّصرَ مع الأخذ بأسبابه، ويخافوا الهزيمة بتجنّب أسبابها[7].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/153.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/105.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/432 - 433.
(4) البسيلّي، التّقييد الكبير، ص: 591.
(5) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/437.
(6) الإندونيسّي، الشّامل في بلاغة القرآن: 1/204.
(7) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 1/193 - 194.

دلالة الفاء في قولِه: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ﴾:

الفاء: داخلةٌ في جوابِ الشَّرطِ؛ لتوكيد التّرتيب والتّعقيب والسّببيّة، رابطة لجواب الشّرط؛ وهي لترتيب ما بعدها أوِ الأمر به على ما مرَّ من غلبة المؤمنين ومغلوبيتهم على تقدير نصر الله تعالى لهم، وخذلانه إيّاهم، فإنّ العلم بذلك ممّا يستدعي قصر التّوكّل عليه سبحانه لا محالة[1].

لا غالبَ للمؤمنين إن نزلَ بهم نصرٌ من الله تعالى

نكتةُ التّعبير باسم الفاعل:

التّعبير باسم الفاعل الدّالّ على ثبوت الصّفة، ورسوخها في صاحبها في قوله تعالى: ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ﴾، يفيد أنّه لا يوجد مَن عنده القوّة، ومَن شأنه أن يغلبكم؛ لأنّه إن كان قويًّا في نفسه فالله معكم وهو القاهر فوق عباده، وهو الحفيظ عليهم[2]. فنفي الصّفة الثّابتة الرّاسخة أبلغ، وأقوى من نفي ما دونها.

نفي الصّفة الثّابتة الرّاسخة أبلغ من نفي ما دونها

بيان دلالة النّفي في قولِه: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ﴾:

(لا) للتّنصيص على عموم نفي وجود الجنس. والمعنى: إن ينصُركم الله كما نصركم يومَ بدرٍ، فلا أحدَ يغلِبُكم، وهذا على طريق نفي الجنسِ المنتظِم لنفي جميعِ أفرادِ الغالبِ ذاتاً وصفةً، ولو قيل: فلا يغلبُكم أحدٌ لدلّ على نفي الصّفة فقط[3]. فهو نفي للهزيمة في حالة نصر الله لهم بنفي جنس المنتصر عليهم الغالب لهم، ونفي جنس الغالب يستلزم نفي الغلَب في أيّة صورة كانت[4].

نفيُ الغلبةِ عن المؤمنين شاملٌ لجميع الغالبين

علّة العدول عنِ التّصريح بالغلبة إلى النّفي:

نظمُ الآية ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ﴾ ليس صريحًا في غلبة المؤمنين لعدوّهم، وهو ليس كأن يُقال: (إن ينصركم الله

تنبيه على ظفرهم بعدوّهم في الحال والاستقبال

(1) الآلوسّي، روح المعاني: 4/108.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 3/1480.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/105.
(4) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 1/193.

تُنصَروا أو تَظفُرُوا)، وإنّما عبّر عن ذلك بالنّفي بحذف جواب الشّرط، وذكر ما يستلزمه، والتّقدير: إن ينصركم اللّه ظفرتم ولا غالب لكم، ولو قيل: ظفرتم فقط لما أفاد انتصارهم في المستقبل، فهو تنبيهٌ على ظفرهم بعدوّهم في الحال والاستقبال، أي: إن ينصركم اللّه على عدوّكم انتصرتم عليه في الحال، ولا يغلبكم بعد ذلك أحد[1].

براعة التّعبير عنِ المقابلة:

تلطُّفُ القرآنِ في خطابِ المؤمنين من دواعي السَّعادةِ السَّرمديَّة

لمّا كان حديث النُّصرة جاء جوابه بصريح النّفي العامّ: ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ﴾، ولمّا كان حديث الخذلان جاء بالجواب مُتضمّنًا النّفي؛ وهو الاستفهام فلم يقُل (فلا ناصر لكم)، بل قال: ﴿فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾، وهو من تنويع الكلام في الفصاحة والتّلطّف بالمؤمنين حتّى لا يصرّح لهم بأنّه لا ناصر لهم، بل أبرزَ ذلك في صورة الاستفهام الّذي يقتضي السّؤال عنِ النّاصر، وإن كان المعنى على نفي النّاصر. لكن فرقٌ بين الصّريح والمتضمَّن، فلم يُجرِ المؤمنين في ذلك مُجرَى الكفّار الّذي نصَّ عليه بالصّريح أنّه لا ناصر لهم كقوله: ﴿أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ١٣﴾ [محمد: 13][2]. وفي هذا لطيفة في مراعاة دقائق أحكام الخطاب[3].

غرضُ الاستفهام البلاغيّ:

خذلانُ الله ليس من بعدِه ناصر

الاستفهامُ في قولِه تعالى: ﴿فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾ "بمعنى النّفي، أي: لا ينصركم أحدٌ من بعده"[4]، فهو استفهامٌ إنكاريٌّ مفيدٌ لانتفاء النَّاصرِ ذاتًا وصفةً بطريق المبالغة[5]، وفي هذا

(1) البسيلّي، التّقييد الكبير، ص: 591، وابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/437 - 438.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/106.
(3) القشيريّ، لطائف الإشارات: 1/292.
(4) الواحديّ، التّفسير الوسيط: 1/513.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/106، والآلوسّي، روح المعاني: 4/108.

الاستفهامِ تنبيه على أنّ الأمر كلَّه للّه، وترغيبٌ في الطَّاعة، وفيما يستحقّون به النَّصر من اللّه تعالى والتّأييد، وتحذير من المعصية، وممّا يستوجبون به العقوبة بالخذلان[1].

الأنظارُ عاجزةٌ عن العثورِ على ناصرٍ من دون الله

جاء النّفي على صيغة الاستفهام ليوجّه أنظار المُخاطَبين إلى البحث عن قويٍّ تكون قدرته كافية للوقوف أمام إرادة اللّه تعالى، فإنّهم سيبحثون عن قويٍّ لا تكون قوّته إلى بقاء، ولا شكّ أنّهم لن يجدوه، فعندئذٍ يحكمون - مُعتقدين عن يقين - بأنّ اللّه وحده الكبير المُتعال، ولا ناصر لهم سواه[2]، ولا شكّ في أنّ صورة الاستفهام هذه أبلغ في الدّلالة، وإن كان معناها النّفي[3].

توجيه شبيه الاستعارة التّمثيليّة المكنيّة:

تمثيل الحالة الحاصلة من تقدير الانكسار بحالة خذلان المُستنصرِ بغير الله

قيدُ ﴿مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾ مستعملٌ في لازم معناه، وهو المغايرة والمجاوزة، أي: فمن الّذي ينصركم دونه أو غيره، أي: دون اللّه، فالضّمير عائدٌ على اسم الجلالة، واستعمال (بعد) في مثل هذا شائع في القرآن قال تعالى: ﴿فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ﴾ [الجاثية: 23]، وأصل هذا الاستعمال أنّه كالاستعارة التّمثيليّة المكنيّة: بِأَنْ مُثِّلَتِ الْحَالَةُ الْحَاصِلَةُ مِنْ تَقْدِيرِ الِانْكِسَارِ بِحَالَةِ مَنْ أَسْلَمَ الَّذِي اسْتَنْصَرَ بِهِ وَخَذَلَهُ فَتَرَكَهُ وَانْصَرَفَ عَنْهُ لِأَنَّ الْمُقَاتِلَ مَعَكَ إِذَا وَلَّى عَنْك فقد خذلك فَحَذَفَ مَا يَدُلُّ على الْحَالة الْمُشبه بِهَا وَرَمَزَ إِلَيْهِ بِلَازِمِهِ وَهُوَ لَفْظُ مِنْ بَعْدِهِ[4].

علّة تقديم شبه الجملة:

الإيـــــذان بالاختصاص إفادةً لحصرِ التّوكّل عليه تعالى

قدّم شبه الجملة ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾ إيذاناً بالاختصاص، وإفادة لحصر فعل التّوكّل وقصره عليه سبحانه، أي: "ليخصّ المؤمنون

(1) القاسميّ، محاسن التّأويل: 2/449.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 3/1481.
(3) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 2/320.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/154.

ربّهم بالتّوكّل والتّفويض إليه؛ لعلمهم أنّه لا ناصر سواه، ولأنّ إيمانهم يوجب ذلك، ويقتضيه"[1]، وليتوكّلوا عليه لا على غيره. لمّا ثبت أنّ الأمر كلّه بيد الله، وأنّه لا ناصرَ لهم سواهُ، ولا رادَّ لقضائه، ولا دافع لحكمه، وجب أن لا يتوكّل المؤمن إلّا عليه[2].

فائدة التّذييل في الآية:

المؤمنون مأمورون بالتّوكّل المستند إلى أسباب النَّصرِ

جملة ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ تذييل قُصد به الأمر بالتّوكّل المستند إلى ارتكاب أسباب نصر الله تعالى: من أسباب عاديّة، وهي الاستعداد، وأسباب نفسانيّة، وهي تزكية النّفس واتّباع رضى الله تعالى[3].

براعة توكيد جملة التّذييل:

الفاء في قولِه تعالى: ﴿فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ لتأكيد الاستئناف، واللّام لام الأمر، ويتوكّل مضارع مجزوم باللّام، وفي تأكيد الاستئناف بعد الإنكار والنّفي حثٌّ مبالغٌ فيه على الاتّكال بعد الأخذ بأسباب الحيطة والحذر[4].

مناسبة تعلّق لفظِ التّوكّل بالمؤمنين:

التّنبيه على الوصف الذي يُناسب معه التّوكّل، وهو الإيمان

أمرهم تعالى بالتّوكّل، وناط الأمر بالمؤمنين، فنبّه على الوصف الّذي يناسب معه التّوكّل، وهو الإيمان؛ لأنّ المؤمن مصدّقٌ بأنّ الله هو الفاعل المختار بيده النّصر والخذلان. وأشركهم مع نبيّهم في مطلوبيّة التّوكّل، وهو إضافة الأمور إلى الله تعالى وتفويضها إليه[5]. ليخصّ المؤمنون ربّهم بالتّوكّل والتّفويض إليه.

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/433.
(2) الرّازي، مفاتيح الغيب: 9/411، وابن عادل، اللُّباب: 6/22.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/154.
(4) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 2/91.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/105.

فائدةُ التّعبير بلفظ المؤمنين:

تشريفُ المؤمنين بعذقهم بأصولِ التَّوكُّلِ على الله

المُراد بالمؤمنين في قولِه تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ إمّا الجنسُ، والمخاطبون داخلون فيه دخولًا أوّليًّا، وإمّا هم خاصّة بطريق الالتفات، وأيًّا ما كان ففيه تشريفٌ لهم بعنوان الإيمان اشتراكًا أو استقلالًا، وتعليلٌ لحتميّة التّوكّل عليه تعالى، فإنّ وصفَ الإيمانِ ممّا يوجبه قطعًا[1].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/106، والآلوسّي، روح المعاني: 4/108.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس، سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 6 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-58-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 6 : سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-58-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2475776 بتاريخ 2023/03/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»